ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

"21عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

العدد (5908) السنة الثانية والعشرون - الاثنين (19) أيار 2025

www.almadasupplements.com

ذاكرة عراقية

من مقاهي بغداد القديمة

تراث كبير وذكريات طريفة

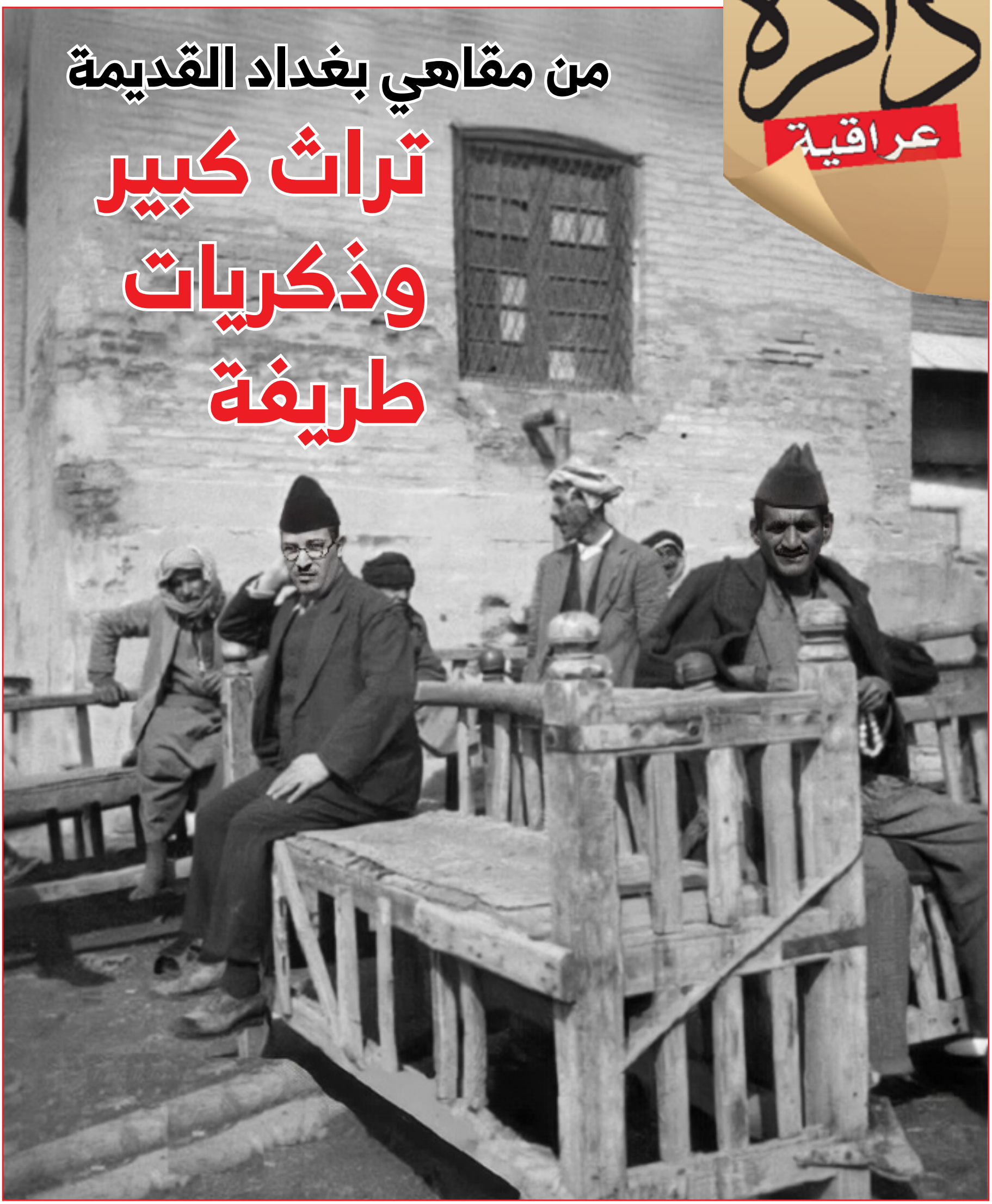

المؤرخ والصحفي سليمان الدخيل بين العراق ونجد

محمد بن ناصر العبودي

سليمان بن العالم صالح بن دخيل الجار الله، الذي كان – بحق – أول نجدي اشتغل بالصحافة حيث أقام في بغداد وأصدر مع عمه جار الله بن دخيل جريدة الرياض، وقد دوه بعمله هذا الكتاب الأوائل من أهل نجد، ولكن أكثرهم أهمل دور عمه جار الله في مساعدته في أن يكون الصحفي النجدي الأول.

وترجم له الكثير من الكتاب والمؤلفين سواء من أهل العراق أو من أهل نجد.

ولم يقتصر عمل سليمان بن صالح الدخيل على إنشاء جريدة الرياض ومجلة الحياة في بغداد بل كان يكتب مقالات في مجلة (لغة العرب) التي كان يصدرها انستاس ماري الكرملي في بغداد واستمرت تصدر مدة طويلة.

وبمطالعة ما كان يكتبه فيها سليمان الصالح الدخيل تبين أن فيها معلومات جمة مفيدة عن بلادنا في وقت كانت المعلومات عنها شحيحة، بل نادرة ولكن يلاحظ أيضاً أن في بعضها مبالغات تذكر غير الواقع من ذلك ما ذكره في العدد الأول من مجلة الغة العرب الصادر بتاريخ تموز ١٩١١ م، من كثرة الذين يعرفون اللغات الأجنبية في القصيم: فتجد إذا دخلت بلدهم هذا يتكلم التركية وذاك يكلمك بالفارسية وآخر يتكلم بالإيطالية.. الخ.

وبعد أن سودت شيئاً من التعليق على ذلك قرأت بحثا للباحثة (فاطمة المحسن) التي تقيم في لندن نشر في جريدة الرياض الصادرة في يوم الخميس ٢٧ ذي القعدة عام ١٤٢٣ هـ الموافق ٣٠ يناير عام ٢٠٠٣ هـ (عدد الجريدة ١٢٦٣٨) فرأيت أنه بحث ما يتعلق بالمذكور بحثا مستفيضا من أحسن ما قرأته عنه قالت الباحثة:

في تراجم أدباء العراق مطلع القرن العشرين يتردد اسم سليمان الدخيل الأديب النحرير والمؤرخ الخطير والصحافي القدير، حسب تعبيرات ذاك الزمن، وسليمان الدخيل يمثل أحد أوجه الإفصاح عن تعددية الأصول والمنابع واختلاف الاهتمامات في الثقافة العراقية عند مفتتح القرن المنصرم، فقد أسهم في (لغة العرب) مجلة الأب انستاس الكرملي منذ صدور العدد الأول ١٩١١ م، متتبعا منهج المؤرخ والعارف والمهتم بطبوغرافيا البشر والقبائل في الجزيرة العربية والعراق، وتلك كانت من المواضيع التي أولتها المجلة اهتماما يضارع انشغالاتها التأسيسية الأخرى في معرفة الأصول اللغوية والأثنيات والطوائف في بلاد ما بين النهرين، كما يتردد في كتابات مطلع القرن.

اختلاف الدخيل عمن سواه من الكتاب العراقيين، ينبع من أصوله النجدية، حيث أعاد إنتاج ذلك الانتماء معرفيا من دون أن يركنه زاوية معتمة في حياته ليظهر على هيئة ولاء ضيق الأفق، على هذا استطاع أن يجد مكانة منفردة بين أدباء وباحثين معظمهم من بغداد ومن المدن الرئيسية.

يحتاج سليمان الدخيل للتعريف به، ما يشبه التفرغ والمؤسف أن القارئ خارج العراق يلقي العنت في الحصول على كتبه التي نشرها في بغداد، شأنه شأن الكثير من أدباء وصحافي مطلع القرن العشرين الذين طواهم النسيان مع كل الجهود التي بذلوها.

برز الدخيل في وقت بدت فيه الثقافة العراقية مقبلة على نهضة لا تتبع قيمتها مما شهدته من تطور في ميدان الأدب حسب، بل من اتساع أفقها الفكري واستيعابها مكونات مختلفة من الآراء والأفكار، وظاهرة سليمان الدخيل في تلك الثقافة تعكس أحد أوجه التنوع المعرفي الذي يتجه عمقاً نحو تعريف الهوية والانتماء إلى المكان، فقد سجل سابقة في ميدان دراسة القبائل وعاداتها وطباعها وطرق انتقالها من حياة البداوة إلى التجمعات المدنية والإمارات والممالك.

الدخيل في جهده هذا أكثر من مؤرخ أو ملاحظ عابر في أحوال القبائل وأصولها، بل هو أميل إلى الحكماء الذي يجمع خبرة التناقل الشفاهي للأنساب التي يجيدها من انتمى وعاش في مجتمع قبلي، إلى ثقافة وقوة ملاحظة اكتسبها من التعليم والمطالعة والسفر ومعرفة قيمة الجغرافيا وأبعاد التوزيع السكاني والقدرة على المقارنة بين المجتمعات، سبق للدخيل أن طاف البلدان العربية وذهب إلى الهند وتركيا، ودرس ببغداد وهو صغير السن على يد محمود شكري الألوسي أحد بناة النهضة العراقية من رجال العلم والدين.

لعل مفارقة عراقية الدخيل تحمل دلالة تشير إلى ما يمكن أن نسميه المادة الخفل في دراسة طبوغرافية تلك الثقافة، فهي تساعد الناظر على التوصل إلى معاني ظاهراتها وبينها تمثلات الهوية الوطنية، فالدخيل الذي يفاخر بنجديته وانتسابه إلى المكان الذي يسميه باعتزاز كبد جزيرة العرب: القصيم، لا يجد المتابع سيرته التي سجلتها كتب الأدب العراقي، صدى يذكر لتلك المعلومة، حيث لا يتوقف الكتاب أمام هذه الملاحظة، قدر ما يؤكدون عراقية له غير منقوصة.

ولا يمكن أن نفهم تلك المفارقة إلّا في إطار نوازع أناس تعودوا استيعاب الاختلاف في الأعراق على نحو ربما لا يشبه البلدان العربية الأخرى فالمتابع أدب تلك الفترة يستطيع أن يصل بأصول الكثير من كتّاب العراق إلى ما لا حد له من الأعراق والمنابع غير أنه سيكتشف أن الانصهار والتواجد بداهة لا يتوقف عندها الدارس، وفي الظن أنما يعزز عراقية الدخيل أن معظم قبائل العراق وقتذاك هي من هجرات الجزيرة العربية سواء تلك التي استوطنت الجنوب أو الشرق حيث تمركز القبائل.

سليمان الدخيل، بإضافة إلى مساهماته الأدبية والتجارية أوكلت إليه مراكز إدارية مرموقة كقائمقام لعدد من المدن، ومدير ناحية وغيرها من المناصب على عهد الدولة العراقية الناشئة إبان العشرينات.

ولد الدخيل في القصيم العام ١٨٧٣ م، من أب هو صالح بن دخيل بن جار الله النجدي الذي وفد إلى العراق وسكن وعائلته الجنوب في منطقة على الأرجح تقع قرب الناصرية التي ستصبح القبائل المحيطة بها، موضع دراسة سليمان بعد أن أضحت تلك الديار موطنه الثاني، ومن تقصيه أوضاع مدينة سوق الشيوخ وما حولها، تلمس تلك المحبة التي غمرت قلب الصغير لتتمثل في عقل الباحث رغبة في معرفة منطقته على نحو علمي.

نشأ الدخيل كما يبدو في عائلة مهتمة بالعلم والمعارف، فوالده صالح بن دخيل نشر مقالات في مجلة (المقتطف) المصرية دفاعًا عن المذهب الوهابي الذي كان محاربًا من الباب العالي في الاستانة، وكان الوالد على سعة عيش مكنته من بعث ولده إلى بغداد للدراسة وهيأ له من أسباب العلم والسفر والتفرغ إلى الأدب والتأريخ ما أغناه عن العمل مطلع شبابه.

أسهم الدخيل في الحياة الأدبية العراقية وهو في عشرينياته، وأصدر جريدة الرياض، الأسبوعية (٨ كانون الثاني ١٩١٠ م) بمعية الصحافي العراقي المعروف إبراهيم حلمي العمر، وكان الأخير موالياً الإنكليز في سوريا وتحول عنهم في العراق، أصدر الدخيل بعد سنتين مجلة (الحياة) بمساعدة العمر أيضاً، بيد أن المجلة لم تعمر طويلاً، ومن توقيع الدخيل على مقالاته في مجلة (لغة العرب) تدرك أن جريدته استمرت إلى فترة طويلة، وكان يهتم بتواتر اسمه على النحو التالي:

سليمان الدخيل صاحب جريدة (الرياض) ومنشئها.

بين كتبه المنشورة في بغداد والبصرة كما يرد في كتاب مير بصري عن أعلام الأدب العراقي: (عنوان المجد في تاريخ نجد ١٩١٠) (الفوز بالمراد في تاريخ بغداد) ١٩١١ (والعقد المتلالئ في حساب اللآلي) "تحفة الألباء في تاريخ الحساء ١٩١٣ هـ، (الوهابية) ١٩١٤ (القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد) ١٩١٦). ولعل ما يلفت النظر في مقالاته، أسلوبه المتسع الطلي الذي يبث فيه الرأي الشخصي سواء كان موضوعيًا أو منحازًا من دون أن يترك عند القاريء سوى الإعجاب بمعلوماته الغزيرة وقوة ملاحظته واهتمامه بالمستقبل عند الحديث عن الماضي، فهو إذ يرصد التعليم وانتشار المعرفة، وبداية الاتصال بالعالم بين تلك القبائل، يتتبع الصراع الضاري على السلطة والرياسة، في عودة إلى أصول تبدو أقرب إلى المباحث التي تهتدي بما وضعه ابن خلدون موضع الاهتمام في الربط بين التقدم وحاجات الاقتصاد ونزعة الاستقرار.

عن كتاب (معجم أسر بريدة)

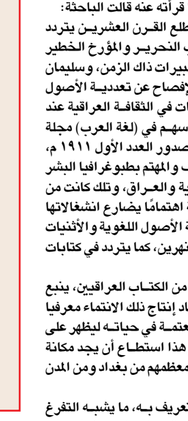

من محمود صبحي الدفتري الى دعبول البلام

محلة الشواكة.. محلة عريقة تبكي ماضيها الجميل

شكيب كاظم سعودي

محلة حالمة على ضفاف دجلة، يفوح منها عبق الماضي التليد، وتطوف حولها النوارس، تتوسد الضفاف، معانقة أمواج النهر منذ قرون عدة، ومازالت منازلها العتيقة ذات الشناشيل عامرة بأهلها.

من محلات كرخ بغداد العريقة والقديمة، وتقع في الجانب الغربي من بغداد، مطلة على نهر دجلة الخالد، وتحدها شمالا (محلة باب السيف)، وتقع على جنوبها محلة (الكريمات)، أي إن هذه المحلات البغدادية القديمة الثلاث، تقع في المنطقة الواقعة بين جسري المأمون القديم الذي سمي في العصر الجمهوري (جسر الشهداء)، وجسر الملك فيصل الثاني الذي سمي لاحقا باسم (جسر الأحرار) في العهد الجمهوري أيضا.

اشتهرت ببيع الشوك

اختلفت الروايات في سبب تسمية محلة الشواكة بهذا الاسم، لكن أكثر الآراء رجاحة وقبولا، أن تسميتها جاءت من أن ساكنيها يمتهنون مهنة بيع الشوك الذي كان يأتيهم من منطقة كرادة مريم، ولا يخفى على الدارسين ان استخدام الشوك كان الوسيلة الأساسية في التدفئة والطبخ، إلى جانب الخشب والفحم، قبل اكتشاف النفط.

لقد سكنت هذه المنطقة اسر تمتهن مهنا عدة، وكان يغلب عليهم العمل النهري، سواء في صيد السمك أم نقل الناس بين جانبي النهر، يوم لم توجد جسور في بغداد، إذ لا يخفى على الدارسين ان أول جسر عائم أنشئ على دجلة، قريبا من موضع جسر الشهداء الحالي أنشئ أواخر العهد العثماني، ولعلها سنة ١٩١٠، وكان عمي المرحوم صبري سعودي خليل إبراهيم (قنطرجي)، أي متعهد عليه من قبل الحكومة العثمانية إلى جانب المرحوم الياس شعوبي حيث كانا يجبيان ضريبة عبور الجسر، وحتى بعد إنشاء الجسور ظل الناس ينتقلون من جانب إلى آخر، بواسطتها.

أسر المحلة

سكنها عدد من الأسر الموسرة مثل أسرة الشاهين، وكان من أعيانها المرحوم أبو مضر الحاج علي الشاهين، فضلا على أسرة المولى، وقد أنجبت هذه الأسرة ثلاثة أشقاء هم: الوجيه صاحب الخان في منطقة الجعيفر المرحوم أبو صاحب أحمد المولى، فضلا عن شقيقه العميد حميد المولى وهو أحد ثوار تموز من عام ١٩٥٨ وأعتقل في شهر شباط من عام ١٩٦٣، ومات في تسعينات القرن المنصرم في مغتربه بالسويد، فضلا عن محمود المولى الذي كان أستاذا للتربية الرياضية في كلية الحقوق، وتولى رئاسة اتحاد الملاكمة في حينها وثلاثتهم رحلوا إلى رحمة الله، كذلك سكنتها أسرة الوتار ومنهم الوجيهان داود وسلمان الوتار اللذان كانا يمتهنان تجارة الجلود، وقد دأب أبو فؤاد داود الوتار على إقامة مجلس العزاء الحسيني، في داره العامرة المطلة على نهر دجلة، طوال أيام شهر الصيام الفضيل، وكان من أشهر قراء المجلس أيامذاك، الشيخ كاظم الذي كان معروفا بحرصه على ان يسود الهدوء مجلسه وكان يغادر المجلس اذا سمع صوت حديث لحضار مجلسه، وكان يتولى المرحوم (دعبول البلام) سقاية الحضار الماء، وكان (دعبول) الشخصية الكرخية الفكهة صديق الباشا رئيس وزراء العراق الأسبق نوري السعيد، يمتنع عن شرب الخمر طوال أيام الشهر الفضيل فضلا عن أيام عاشوراء.

شخصية دعبول البلام

و(دعبول البلام)، أصبح شخصية معروفة في بغداد والعالم العربي حيث جسد الفنان الرائد يوسف العاني حياته بمسرحية (الشريعة)، وكان صديقا للمرحوم أبي ولي كذلك، التي كان لها صدى واسع حين عرضت على المسرح بداية السبعينات من القرن المنصرم، كما تناولته روائيا الكاتبة عراقية المولد بريطانية الأصل (أمل بورتر) ابنة الضابط البريطاني (بورتر) أيام الاحتلال البريطاني للعراق سنة ١٩١٧ والذي أحب العراق وتزوج من عراقية، وعاش فيه حتى مات. ولقد توفي (دعبول البلام) في خريف عام ١٩٧١.

وجهاء المنطقة

وكان من وجهاء محلة الشواكة كذلك أسرة الدرة وقد برز منها العقيد عبد الباقي كاظم الذي كان أول مدير لشرطة بغداد في العهد الجمهوري، وكان من أبنائها الأفذاذ أنجال الوجيه جعفر الأوقاتي، كل من الزعيم (العميد) الطيار الركن المرحوم جلال الأوقاتي، الذي تولى قيادة القوة الجوية في العهد الجمهوري، واغتيل في صبيحة الثامن من شباط من عام ١٩٦٣، وهو يهم بمغادرة داره متوجها إلى مقر عمله في وزارة الدفاع، فضلا على أحمد الأوقاتي المحامي وشقيقه الطبيب أنور الأوقاتي الذي تولى أدارة المستشفى الجمهوري ببغداد، والصيدلي الأوقاتي وكانت صيدليته شاخصة في ساحة الرصافي إلى وقت قريب والذي أمضى فيها عقودا من الزمن.

أبطال رياضة الساحة

ومن الأسر المعروفة في محلة الشواكة، أسرة المختار وعميدها الحاج محمد علي الملقب جابر بن حاج كاظم بن سهيل، كما دون هو- رحمه الله-على نسخة قديمة من كتاب (الغية ابن مالك) تعود لبداية القرن العشرين وآلت إلي وكتب نحو أخرى بعد وفاته شتاء سنة ١٩٧٢، وكان من أحفاده أبطال رياضة سباحة المسافات الطويلة الفقيدان جعفر محمد صالح الرياضي الشامل إذ كان لاعبا ماهرا في الكرة الطائرة وكرة السلة والساحة والميدان وشقيقه صادق البطل العراقي في سباحة المسافات الطويلة التي كانت تبدأ من ناحية الراشدية شمالي بغداد وصولا إلى جسر الملكة عالية(الجمهورية) في الباب الشرقي.

ما دمنا نتحدث عن الرياضة، فلابد من الوقوف عند رئيس اتحاد كرة السلة الأسبق الفقيد علي الصفار، مدرس الرياضة في العديد من مدارس (إعداديات وثانويات) بغداد وكان مدرسا للرياضة في متوسطة فيصل الرسمية نهايات العقد الخمسيني من القرن العشرين، الذي غادر الحياة صيف عام ٢٠١٢، فضلا على رسمي عبد الحسين بطل العراق في سباق سباحة المسافات الطويلة عام ١٩٥٨ والحائز على المرتبة الثانية عالمياً في سباق (كابري – نابولي) بإيطاليا سنة ١٩٥٩، ويعد هذا السباق من أشهر السباقات في رياضة سباحة المسافات الطويلة عالميا.

الطب والسياسة

إلى جانب سباق (صيدا- بيروت) الذي فاز به السباح العراقي المعروف القاضي علاء الدين النواب، ومن الأسر المعروفة في المنطقة أسرة آل سعودي وأولاده صبري ورزوقي القبطان وكاظم ومن أبنائه الدكتور ناظم كاظم سعودي اختصاصي طب وجراحة الأنف والأذن والحنجرة والحائز على شهادة (الأف ار سي أس) من جامعة لندن، وأخيرا لابد من الحديث عن أسرة الدفتري، التي انتقلت إلى السكن في هذه المحلة في ثلاثينات القرن العشرين، قادمة من محلة الحيدر الخانة، أسرة الوجيه محمود صبحي الدفتري الذي اقترن بالسيدة(صبيحة) شقيقة المرحوم الأستاذ كامل رفعة الجادرجي مؤسس الحزب الوطني الديمقراطي وزعيمه حتى وفاته يوم الخميس الأول من شباط ١٩٦٨، أقول انتقلت للسكن في محلة الشواكة وابتنت لها دارا فارهة مطلة على نهر دجلة الخالد ورحم الله تلك الأيام الخوالد.

سوقها المترف

وقد امتازت محلة الشواكة بسوقها الخاص بالخضار واللحوم، والذي كان يعد من أكبر الأسواق في الجانب الغربي من بغداد وقد عرف فيه عدد من القصابين مثل: القصاب (سلوم) الذي اغتيل في خريف ١٩٦٢ فضلا عن القصاب (عصفور).

فضلا عن أنجال الشخصية السياسية المرحوم (عباس الترف)، وكبيرهم السيد فياض (صديق المرحوم أبي وصديقي) وكلف وروسي ورشودي (رشيد) وقد عرف السوق بالشخصيتين الفكهتين، الحاج عبد الأمير شقيق مختار محلة الشواكة محمد علي وعبود المعروف بـ(عبوكي) الذي كان يبيع جبن العرب وكان متوترا دائما، ولعل ذلك ناتج عن كونه عاش أعزب ولم يتزوج، فضلا عن الحاج مهدي السمين الذي لم يعقب خلفا بعده.

والسوق يمتد من رأس محلة الشواكة مرورا بمحلة باب السيف وانتهاء بمحلة الباغي، وعرفت المحلة بأشهر مطعمين للكباب بالكرخ هما (مطعم كباب الحاج مهدي ومطعم كباب الحاج قاسم) وقد اندثرا عام ١٩٨١ بسبب شق شارع حيفا وبناء العمارات السكنية فيه.

القيادة الدينية في المنطقة

تولت التوجيه الديني في محلة الشواكة أسرة السيد جواد الغريفي، المتوفى شتاء ١٩٧٤ رحمه الله ومنذ نحو قرن من الزمان، وبعد وفاة السيد جواد -غفر الله له- تولى التوجيه الديني نجله السيد عبد العزيز الذي توفي صيف عام ١٩٩١-رحمه الله- ومر بأزمة خانقة في العهد السابق كادت تودي بحياته بسبب توجهاته الدينية، وتولى الإمامة بعده فيها شقيقه السيد كمال الدين الغريفي الذي انتقل أواخر التسعينات الماضيات للتوجيه الديني في حسينية محلة الدوريين بالكرخ، إلا ان الإرهاب تمكن من قطع روحه الطاهرة سنة ٢٠٠٦ أثناء اشتداد العصف الطائفي وقتذاك، لتؤول القيادة الدينية في محلة الشواكة إلى نجله السيد احمد بن السيد كمال الدين بن السيد جواد الغريفي.

هذا جزء من تأريخ المحلة الكرخية، وما علق في الذاكرة، رحم الله الجميع ورحمنا..

عندما وضع السنهوري القانون المدني العراقي

أحمد متاريك

لعب الفقيه القانوني المصري عبد الرزاق السنهوري دوراً كبيراً في عمل بنية تشريعية قانونية بالعراق خلال سنوات استقلاله الأولى، فهو الذي قاد أول محاولة لصكّ قانون مدني عراقي، وهو إن لم يكملها لظروف خاصة إلا أنه حينما أتيحت له فرصة ثانية لاستكمال جهوده لم يتردد في إنجاز القانون حتى خرج إلى النور.

الزيارة الأولى

بحسب كتاب "الدكتور عبد الرزاق السنهوري: إسلامية الدولة والمدنية والقانون" للباحث محمد عمارة، فإنه في أعقاب معاهدة ١٩٣٠ التي منحت العراقيين الحق في تحديث تشريعاتهم القانونية وجّهوا دعوة للسنهوري للمشاركة في هذا الأمر.

وفي ١٩٣٥ استُقدم لعمادة كلية الحقوق وبذل جهوداً كبيرة في وضع نظامها التعليمي بمعاونة عدد من كبار رجال القانون العراقيين وقتها، مثل: ياسين الهاشمي، رشيد الكيلاني، محمد زكي، منير القاضي، وفقاً لما ذكر في مقدمة كتاب السنهوري "القيود التعاقدية على الحرية الفردية للعمل في القضاء الإنجليزي".

في كلية الحقوق العراقية درّس السنهوري طلابه مادة "أصول القانون"، كما أصدر مجلة "القضاء" التي امتدح في مقدمتها "النهضة المباركة التي يعيشها العراق، وإذا كان في الماضي مهدا لقانون حمورابي ومنارة لفقه أبي حنيفة فهو اليوم يطمح لأن تكون له مكانة النهضة القانونية التي بدت تباشيرها بالشرق والغرب".

في هذا العام، بدأت أولى محاولات وضع مشروع القانون المدني، لكن السنهوري لم يُكمل المهمة بسبب مرض والدته فاضطر إلى العودة لمصر لمتابعة رحلة علاجها بعدما رشّح بدلاً منه الفقيه القانوني المصري عبد الحميد المتولي ليتولى عمادة الحقوق من بعده.

عقب عودته إلى مصر اصطحب السنهوري معه العشرة الأوائل من أبناء كلية الحقوق في بغداد والحقهم بكلية الحقوق بالقاهرة ليستكملوا دراستهم تحت إشرافه. لاحقاً سيثبت "أبناء السنهوري" العراقيون براعة كبيرة، وقد صار أغلبهم من كبار الأساتذة الذين درّسوا القانون بالعراق لاحقاً.

قانون مدني عراقي شامل

في مذكراته أفسح السنهوري باشا المجال للحديث عن بعض ذكرياته بالعراق، فكتب في ١٩ يوليو ١٩٤٣ ملاحظاته بشأن زيارته الثانية له قائلاً: "كلفتني الحكومة العراقية بوضع مشروع لقانون مدني عراقي، وأنا الآن في طريقي إلى العراق لأعرض على القوم ما أنجزت، هذا هو العمل الذي كنت أطمح إليه منذ عهد الشباب".

خلال هذه الفترة، كان السنهوري يعيش أزمة كبيرة بعدما اضطر لترك منصبه وكيلا لوزارة المعارف المصرية بعد وصول خصومه في حزب الوفد إلى السُلطة في أعقاب حادث فبراير ١٩٤٢ الذي حاصر فيه الإنجليز قصر عابدين، وأجبروا الملك فاروق على تعيين مصطفى النحاس زعيم الوفد رئيساً للوزراء.

رغم أن السنهوري باشا في هذه السنة كان قد نجح في إنجاز ما اعتبره واحدا من أهم خطواته بالحياة، وهي وضع مشروع أول قانون مدني مصري، لحظة خلدها شعرا بقوله: (إذا افتخروا بمال أو بجاه/ فقانوني من الدنيا فخاري)، إلا أن النحاس لم يغفر للسنهوري خلافاته السياسية معه فأطاح به من منصبه الحكومي.

في أعقاب تركه وظيفته الحكومية، مارس رجل القانون المصري المحاماة لفترة قليلة من الزمن إلا أنه لم يشعر بالراحة، فلم يستكمل العمل بها وعاش فترة عصيبة كتب عنها في شعره بقوله "أشكو إلى الخمسين ما قاسيته/ في هذه الدنيا من الآلام".

أتى الحل من العراق بعدما تلقّى دعوة في ١٩٤٣ لإعادة استكمال عمله الذي توقّف عنه منذ عدة سنوات عبر المساهمة في إعداد قانون مدني عراقي، وهي المهمة التي وافق عليها بحماس بسبب أمله في وضع قانون مدني شامل ومتطور، وهو يقول: "الأمل يملأني أن أقدّم مشروع قانون مدني لا للعراق وحده بل لسائر البلاد العربية على أساس الفقه الإسلامي".

وبحسب عمارة، فإن العراق كان مهيئاً لاستقبال طموحات السنهوري في ابتكار قوانين مدنية مستمدة من أحكام الشريعة الإسلامية أكثر من مصر، لأن بلاد الرافدين لم تتقطع صلتها بالقوانين الإسلامية بعدما ظلت محكومة بقواعد مَجلة الأحكام العدلية العثمانية المستمدة من الفقه الحنفي. أما مصر فقد حرمها الإنجليز من هذه الفرصة، فعندما أخضعوها لسيطرتهم أداروا محاكمها وفق قانون مستمد من القانون الفرنسي.

وبحسب ما ذكره السنهوري في مذكراته فإن أول شيء فعله حينما وصل العراق زيارة قبر صديقه محمد زكي رئيس مجلس النواب، ووزير العدل العراقي الراحل. يحكي قائلاً: "قليل من الناس أثّر في نفسي فقدهم، والمرحوم محمد زكي من هؤلاء، إنه أقرب إلى نفسي من أهلي".

مع وصوله إلى بغداد انكبّ السنهوري باشا على دراسة الفقه القانوني بشكل أكثر تعمقا ليفهم أكثر بنود المجلة العدلية العثمانية التي كانت تُعتبر القانون الذي يحكم المعاملات المدنية بالعراق، ومنها استوحى فكرته في وضع قانون عربي موحد والتي ظلّ يُنادي بها طويلاً، إلا أنه لم يتمكن من تحقيقها.

يقول محمد عمارة: "في بغداد لقي السنهوري حفاوة نموذجية لم يجدها في مصر بسبب المضايقات الحزبية. طمع السنهوري أن ينجز عملاً كبيراً يكون أكثر تقدما من القانون الذي وضعه لمصر".

وفي بغداد دارت الأمور كما تمنّى الخبير القانوني المصري بعدما تشكلت لجنة برئاسته لبحث مواد مشروع القانون ضمّت نوري القاضي (نائبا للرئيس)، حسن سامي تاتار، أنطوان شماس، عبدالجبار التكرلي، كامل السامرائي، حسب ما ورد في الجزء الثالث من كتاب "معجم العراق: سجل تاريخي سياسي اقتصادي اجتماعي".

بدأت اللجنة اجتماعاتها بهدف وضع أول قانون مدني وسطي يتلاقى فيه الفقه الإسلامي مع الحداثة الغربية.

وضع السنهوري فقه أبي حنيفة نصب عينيه وهو يعدّ مواد قانونه، معتبراً أنه المذهب الأقرب للبيئة العراقية لأنه نشأ ونَما في بيئتها. يقول السنهوري: "إن القانون هو نبت البيئة وغرس الأجيال المتعاقبة، من السهله أن نبدّد ثروة الأجداد ونعيش عالة على غيرنا نتكفف".

خطّط القانوني المصري أن ينجز قانوناً عراقياً أكثر "أسلمة" في مواده من القانون الذي أنجزه في مصر ليكون النموذج الذي تحتذيه الدول العربية والإسلامية في قوانينها العصرية، كما كان يرى.

أزمة دبلوماسية لا تمنع إنهاء القانون

لم يشعر مصطفى النحاس رئيس وزراء مصر بالرضا عن تعيين خصمه في هذا المنصب القانوني الحساس بالعراق فطلبت الحكومة المصرية من نظيرتها في بغداد طرد السنهوري باشا، فرفض نوري السعيد رئيس الحكومة العراقية وقتها إجابة هذا الطلب، فاستشاط النحاس باشا غضبا وهدد بقطع العلاقات الدبلوماسية بين مصر والعراق تماما.

وبحسب ما ذكر المؤرخ العراقي عبدالرزاق الهلالي في كتابه "قال لي هؤلاء"، فإن هذه الأزمة انعكست على عمل وزارات أخرى مثلما جرى مع مديرية التربية والتعليم العراقية حين رغبت في تشكيل وفد من الطلاب العراقيين للعب مباريات رياضية مع نظرائهم في مصر.

رفضت القاهرة استقبال الوفد العراقي اعتراضاً على تصرفات "نوري باشا رئيس الوزراء الذي كان له ضلع في تهريب الدكتور السنهوري وتسفيره إلى العراق"، حسب ما نُقل إلى المسؤولين العراقيين وقتها.

بناء على طلب نوري السعيد تدخّل سعد الله الجبري رئيس وزراء سوريا حينها لحل هذه المشكلة فاقترح السماح للسنهوري باشا بالإقامة في دمشق، وبالفعل عاش بها بضعة أشهر، وواصل اجتماعاته لوضع القانون المدني العراقي، بالإضافة لقانون مدني سوري أيضا.

لم يرضَ النحاس بهذا الحل وأمر بمنع الأساتذة المصريين من السفر إلى العراق وبعث تهديدا ممائلا إلى سوريا بضرورة طرده من دمشق، ولم تنتهِ هذه الأزمة إلا بعودة السنهوري إلى مصر، ومنها أكمل كتابة مواد القانون العراقي سواء بزيارات قام بها بعض أعضاء لجنته إليه أم المراسل معه بشأنها بالبريد.

رغم الانتهاء من الصياغة الأولى للقانون في ١٩٤٦ إلا أن تكرار حل مجلس النواب العراقي أعاق مناقشتها وإقرارها حتى صدر القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ مكونا من ١٣٨٣ مادة شملت جميع المعاملات القانونية المدنية عدا الوقف والأحوال الشخصية، وبعد مرور سنتين على نشره في الجريدة الرسمية أصبح هذا القانون ساري المفعول بالعراق.

عن موقع ارفع صوتك

من تاريخ الصراع الديمقراطي في العراق

مذبحة أساتذة جامعة بغداد سنة 1956

د. ابراهيم خليل العلاف

كانت علاقة خليل كنه كوزير للمعارف اكثر من مرة مع اساتذة الجامعة: جامعة بغداد لم تكن على مايرام وقد كرهه الاساتذة وعرضوا به كثيرا وانتقدوه وكنت اشعر بذلك من خلال حديث استاذي الاستاذ الدكتور فاضل حسين عنه قبل ٥٠ سنة وعندما كنت طالبا في قسم التاريخ بكلية التربية -جامعة بغداد ١٩٦٤-١٩٦٨ حيث كان يعرفه معرفة جيدة وكتب عنه ناقدا للسياسة التعليمية في العراق في جريدة (صوت الاهالي) سلسلة مقالات غفلا من التوقيع بعنوان:

"في شؤون المعارف" اعطاني اصلها وقال انه هو الذي كتبها وقد اعطيتها للصديق المؤرخ العراقي الاستاذ الدكتور صباح ارميض القريشي للكتابة عنها. كما كان الدكتور فاضل حسين ايضا من الاساتذة الذين وقعوا على عريضة الاساتذة التي قدمت الى الملك فيصل الثاني وفيها يشجبون العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ وموقف العراق السلبي ويطالبون بالحريات السياسية وبالالتفات الى مؤهلاتهم والاستفادة من خدماتهم. وقد جاءت العريضة وسط سلسلة من الاضرابات الطلابية التي قام بها اساتذة وطلبة كليات جامعة بغداد. وقد اشار خليل كنه في كتابه (العراق امسه وغده) بالتفصيل الى هذه الحوادث وقال ان الاساتذة قالوا في عريضتهم الى الملك: "وختاما –ياصاحب الجلالة – نود ان نعلن لجلالتكم ان الفئة المثقفة وخاصة من رجال التعليم يكونون جزءا مهما من هذا الشعب ولكنهم يشعرون انهم لم ينالوا العناية الكافية ولم تحاول السلطات الافادة منهم كما يجب". ومن الذين وقعوا على العريضة كلا من الدكاترة والاستاذة خالد الهاشمي ومحمد ناصر وجابر عمر وعبد الرحمن البزاز. ويقول خليل كنه انه التقى بالاساتذة والمظاهرات قائمة وكان شديدا وقاسيا مع الاستاذ عبد الرحمن البزاز حتى انه قال له هل ان مايجري ينسجم مع رسالتهم التربوية؟ فأجاب الاستاذ البزاز ان بالوسع وضع حد لهذا الوضع اذا استجابت الحكومة الى بعض الشروط وعندها قال خليل كنه وزير المعارف للبزاز متسائلا اذا كان يعتقد انه الزعيم لهذه المظاهرات حتى يتقدم بهذا الاقتراح ثم انهى الاجتماع معلنا انه سيتخذ الاجراءات التي يمليها عليه واجبه كمسؤول.

واضاف ان احمد مختار بابان نائب رئيس الوزراء جاءه وعاتبه على موقفه من الاساتذة والبزاز بالذات وقال انه قام بتقديم اقتراح الى مجلس الوزراء يطلب فيه فصل بعض الاساتذة مع اخرين ممن اعتبرهم محرضين الطلبة على الاضرابات وصدر القرار بذلك ثم القي القبض على بعضهم من بينهم عبد الرحمن البزاز واجري التحقيق معهم. وبعد فترة حضر رئيس الوزراء الى مكتب خليل كنه في وزارة المعارف واخبره انه اوعز بنقل الاساتذة من بنجوين التي نفوا اليها الى تكريت لبعدها عن اهلهم ولبرودة الطقس فيها ورجاه الموافقة على اعادتهم الى بغداد لزوال الاسباب الداعية لابعادهم خاصة وانهم اصدقاءه فرفض عودة الاساتذة الى بغداد بهذه السرعة ورجا رئيس الوزراء نوري السعيد التريث بعض الوقت حتى تهدأ الاحوال في الكليات والمدارس.

وهنا طلب رئيس الوزراء تحديد مدة لذلك فقال خليل كنه شهرا فرد رئيس الوزراء وما الضمان انك توافق على عودتهم فقال خليل كنه اني على استعداد للذهاب بنفسي الى تكريت والعودة بهم الى بغداد وهكذا ذهب خليل كنه الى تكريت قبل انقضاء الشهر والتقى ببعضهم وهم:

الاستاذ عبد الرحمن البزاز والدكتور فيصل الوائلي والاستاذ حسن الدجيلي. قد ناقش خليل كنه معهم حيثيات ما جرى قنقل اليه رأي رئيس الوزراء وعادوا في اليوم التالي الى بغداد.

كتب الاستاذ عبد الرحمن البزاز في كتابه (صفحات من الامس القريب" ان الحكومة اضطرت على اعادتهم لكن خليل كنه ينتقده في كتاب (العراق امسه وغده) ويتهكم عليه ويقول انه بدا وقد قامت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وكأنه هو من قادها وليس الزعيم عبد الكريم قاسم ثم تساءل قائلا: اين البطولة في أمر العريضة التي قدمها الاساتذة والتي اصبحت تلقب في بغداد ب (الماكناكارتا العراقية) تشبيها لها بالماكناكارتا البريطانية وختم حديثه بالقول ان الوقائع اثبتت فيما بعد ان العريضة كانت جزءا من مخطط قام به عبد الاله والراحة مختار بابان لحمل نوري السعيد على الاستقالة في هذا الظرف العصيب واشار الى اجتماع قصر الرحاب برئاسة الملك فيصل الثاني والامير عبد الاله ولي العهد وبحضور رؤساء الوزراء ورئيسي مجلسي الاعيان والنواب والوزراء ايذانا ببدء الحملة على نوري السعيد لاحراجه وحمله على الاستقالة ويعتقد كاتب هذه السطور ان تحليل خليل كنه لما حدث من اضرابات طلابية وتذمر الاساتذة ورفعهم عريضة الى الملك ليس صحيحا وبعيدا عن الواقع وان الاوضاع في العراق كانت مضطربة والوزارة السعيدية لم تستطع معالجة الامور وامتصاص النقمة الشعبية وان عريضة الاساتذة كانت – بحق – نابعة من نفوس صادقة بحب البلد والخوف عليه ومحاولة اقالة عثرات الحكومة التي ضربت مصالحه عرض الحائط وكان كل من يعرف تاريخ العراق يدرك بأنه مقدم على زلزال خطير وجاء الزلزال صبيحة يوم ١٤ تموز –يوليو سنة ١٩٥٨ والذي اسقط النظام الملكي كله.

في دراستي السابقة المنشورة والمتوفرة عبر النت بعنوان: "ظاهرة فصل الاساتذة في العراق المعاصر" وقفت عند حادثة عريضة الاساتذة وقلت: في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩٥٦ قدم جماعة من اساتذة جامعة بغداد وعددهم (خمسة وخمسون) عريضة إحتجاج الى الملك فيصل الثاني ملك العراق انذاك ١٩٥٣-١٩٥٨، ومنهم الدكتور جابر عمر وعبد الرحمن البزاز وحسن الدجيلي والدكتور فيصل الوائلي والدكتور محمد علي البصام والدكتور عباس الصراف والدكتور عبد القادر احمد اليوسف والدكتور عبد الجليل الظاهر والدكتور مصطفى كامل ياسين والدكتور محمد ناصر والدكتور خالد الهاشمي وخضر عبد الغفور والدكتور احمد عبد الستار الجواري والدكتور فاضل حسين وذلك احتجاجا على موقف الحكومة العراقية من العدوان الثلاثي البريطاني –الفرنسي –الاسرائيلي من مصر في ٢٩ تشرين الاول ١٩٥٦ والذي وقع بعد تأميم الرئيس جمال عبد الناصر قناة السويس في ٢٦ تموز ١٩٥٦. وقد وقف الشعب العراقي ماعدا الطبقة الحاكمة الى جانب مصر، وحدثت مظاهرات واضرابات في جميع انحاء العراق، وعطلت الدراسة في جميع المدارس والكليات، ووقعت حوادث دامية في بغداد والنجف والحي والموصل. وقد اعتقل عدد من قادة الاحزاب المعارضة في سجن نقرة السلمان. كما أعلنت الاحكام العرفية، ومنعت الاجتماعات والمظاهرات.

ولم تكتف الحكومة بذلك – وكانت اذ ذاك حكومة نوري السعيد – بل قامت بفصل الاساتذة التسعة التالية اسماؤهم من وظائفهم وهم:

١.الدكتور جابر عمر
٢.الاستاذ عبد الرحمن البزاز
٣.حسن الدجيلي
٤.والدكتور فيصل الوائلي
٥.والدكتور محمد علي البصام
٦.والدكتور عباس الصراف
٧.والدكتور عبد القادر احمد اليوسف
٨.والدكتور عبد الجليل الظاهر
٩.والدكتور مصطفى كامل ياسين

كما احيل الخمسة الاولون من المجموعة الى المجلس العرفي العسكري وهم:

١.الدكتور جابر عمر (تمكن من الهرب الى سوريا)
٢.الاستاذ عبد الرحمن البزاز
٣.حسن الدجيلي
٤. الدكتور فيصل الوائلي
٥. الدكتور محمد علي البصام

وحكم على الاربعة الاخرين بالنفي الى الشمال (بنجوين)، ونقل خضر عبد الغفور والدكتور أحمد عبد الستار الجواري من ديوان وزارة المعارف (التربية) الى التدريس في دار المعلمين الابتدائية.

وقد اجتمع خليل كنة وزير المعارف مع بعض الاساتذة، ولامهم على عملهم واستدعى البعض الاخر ومنهم الدكتور فاضل حسين لمقابلته في ديوانه على انفراد ولامهم ايضا على موقفهم في التحريض والوقوف الى جانب المتظاهرين من الطلبة والاساتذة وتقديمهم عرائض الاحتجاج على موقف الحكومة السعيدية من أحداث السويس في مصر.

وكما اشرنا من قبل، فإن الحكومة ساقت بعض هؤلاء الاساتذة الى المجالس العرفية، واستحصلت على قرارات بوضعهم تحت مراقبة الشرطة ونقلت بعضهم الى مدن بعيدة فتعرضوا الى مخاطر صحية. ويقول عبد الرزاق الحسني ان الاستاذ عبد الرحمن البزاز كان من ضمن من نُفي الى تكريت وكان انذاك عميدا لكلية الحقوق وصدفة زارت العراق (المس طومسون) وهي صحفية اميركية تعرف البزاز منذ زيارته لاميركا فسألت عنه فقيل لها انه منفي ومتهم بالنشاط الشيوعي، وكان كل من يعرض الحكم الملكي يتهم بالشيوعية أو ما كان يطلق عليه "الفكر الهدام"، والبزاز معروف بأنه قومي عندئذ اضطر وزير المعارف خليل كنة الى السفر الى تكريت ليعيد البزاز الى بغداد وصحبه بعد هذه الفضيحة خوفا من ان تتناقل الخبر الصحف الاجنبية. ومع هذا فقد كان لإعتقال الاساتذة صدى كبيرا في خارج العراق فضلا عن الداخل.

من مقاهي بغداد القديمة

تراث كبير وذكريات طريفة

سرور ميرزا محمود

من دون الخوض فيما إذا كان أصلها شرقياً أم غربياً، كانت المقاهي بديكوراتها التقليدية الجميلة بأرائكها (تخوتها) وكراسيها وأوجاغات عمل الشاي بالقوري والدلة للقهوة وأناسها، وهي تحمل بين طياتها جمالية المكان والروح المنبعثة من جدرانها وفضاءاتها تعبيراً أميناً لأهم مرحلة من مراحل التحول السياسي والاجتماعي بعد تأسيس الدولة العراقية والتي بدأ فيها ظهور منارات للفكر التنويري في الأدب والسياسة والأبداع، فالمقاهي في بغداد كان لها دورها في أثراء الحياة الثقافية والفنية والسياسية والتجارية منذ عقود طويلة ربما منذ أن عرف البغداديون المقهى، وتعد المقاهي عالماً مختلفاً عن كافة التجمعات الأخرى مثل المجالس الأدبية والعلمية فهي ملتقى يومي للناس بوجد الحكايات وتروى الأسرار وتعقد الصفقات والأبداعات.

لعبت المقاهي للكثير أدواراً تجاوزت إلى حد بعيد وظيفتها الأولى وهي استقبال الرواد الراغبين في تمضية بعض الوقت حول فنجان قهوة أو أستكان أو كوب من الشاي. ولعل دور المقهى الثقافي كان من أبرز هذه الأدوار المضافة على الوظيفة الأساسية، حتى أن بعض المقاهي دخل عالم الأدب والثقافة والسياسة بفعل رواده الذين من خلال طغيان حضورهم على حضور غيرهم، حولوا هذه المقهى أو تلك إلى مكان أقرب إلى المنتدى، منه إلى المقهى، فالمقهى له مكانة روحية في بغداد ويحمل سحراً خاصاً فهو بالإضافة الى أنه يحمل في داخله ذاكرة لها برجالها وأماكنها، فهو أيظاً المكان الأنسب للاجتماع بالأصحاب والجوار، فكثيرون يشكل ارتياد المقاهي لهم جزءاً مهماً من حياتهم اليومية، فنجد المثقفين والفنانين والباحثين والسياسيين بالإضافة إلى المقاعدين الذين يعتبرون الدوام في المقهى أمراً ضرورياً للنقاش في السياسة والثقافة والفن، فكل جدار وكل أوجاغ وكل أريكة (تخت) وكل أستكان له حكاية وله قصة وأبداع وفكر وشعر أخرجها رواد المقاهي، كما أن النظر الى وجوه المارة من خلال زجاج النوافذ يعطيك صورة عن حالة المجتمع ومكانته.

أن جغالة زادة سنان باشا والي بغداد سنة ٩٩٥هـ/ ١٥٨٦ ميلادية فتح اول مقهى في بغداد في موقع خان الكمرك المتصل خلفه بالمدرسة المستنصرية وبابه على الطريق المؤدي الى سوق الخفافين وهو السوق الواقع فيه جامع الخفافين وبعدها سنة ١٥٩٠ ميلادية فتح مقهى ثان كان يستخدم غلماناً ملاحا ملابسهم فاخرة لتقديم القهوة وقبض الدراهم وهناك جوق موسيقي في المقهى والتردد على المقهى اكثر ما يكون ليل وسمي بخان جغان. لنستذكر أشهر المقاهي القديمة والتي لازال البغداديون يتغنوها وهي علاقة بأذهانهم، وذلك أن البغدادي حين يحدد موعداً لزميله يقول له نلتقي في المقهى وهذا يدلل على تعلق وأمر جوهري في حياة العراقيين بصورة عامة والبغداديين بصورة خاصة:

مقهى الخفافين

كانت إحدى خانات بغداد القديمة وأستناداً الى ماذكره الشيخ جلال الحنفي مؤرخ بغداد فأن خان الخفافين بني مع بناء المدرسة المستنصرية في عهد الخليفة العباسي المستنصر بالله عام ١٢٣٣ ميلادية كمسافر خانة، وقبل أكثر من ٣٠٠ سنة تحول الخان الى مقهى، يتميز البناء الهندسي الجميل بالطراز البغدادي الأصيل والنقوش والأقواس عند مدخل الأبواب وسقفه المرتفع يتدلى منه ست مراوح قديمة في حين تتوزع على جدرانه قرب السقف نوافذ صغيرة للتهوية ودخول الضوء، وسمي بمقهى الخفافين المستمد من منطقة ورش الصناعات الجلدية وخصوصاً صناعة الأحذية وسروج الخيل والسيوف، وهوقريب من نهر دجلة حيث كانت السفن والقوارب التي كانت تنقل الأمتعة والبضائع تتخذ من ضفة النهر مرسى لها.

مقهى الشط أو التجار

ويقع على ضفة نهر دجلة ويتكون من طابقين علوي وسفلي ويعتبر مقهيين ويعود كل واحد منهما لمالك فمقهى الشط يعود للحاج علي، اما المقهى الثاني في الطابق العلوي فيعود لحسن صفو، كان سقف المقهى من الخشب ويستند الى اعمدة خشبية ايضا ذات طلعة امامية على النهر ويحتوي على النقوش البغدادية وكانت مظللة بالالوان ويجلس الزبائن على درجات من طوف اللبن ويفرش عليها حصير من البردي وتنار بواسطة فوانيس مستوردة من المانيا وهي كبيرة الحجم ولا يوجد مثلها في بغداد وتعلق في السقف.. ويعتبر مقهى الشط من المراكز التجارية المهمة قديما على الشاطئ لان الموقع كان نقطة نهاية المراكب والدوب.. وكذلك كون المقهى سوقا للتداول بقضايا البيع والشراء حتى قضايا الخطوبة والزواج والاعراس كانت تبدأ من المقهى..

ومقهى الشط الوحيد الذي كان يجأ ايام رمضان لموقعه واهميته ولبعده من الشارع وكونه مركزا تجاريا للمداولة ولا يمكن الاستغناء عنه حتى في رمضان.. كان يلتقي فيه وجوه بغداد المعروفة مثل عبد القادر باشا الخضيري وهو صاحب مراكب ترسو على الشاطئ امام المقهى وقاسم باشا وحسن باشا والحاج علي الجلبي وعبد القادر دله صاحب خان دله وابراهيم صالح شكر والرصافي والزهاوي في بعض الاوقات، وكان الجالغي البغدادي حاظرا بالاضافة لقراء المقام أحمد زيدان، رشيد القندرجي وكان يسمع صوته الى جانب الكرخ. وذلك لصفاء صوتهم وطاقتهم اضافة لهدوء الجو ليلا اضافة الى القراء المعروفين خضوري شمه ويوسف بتو وسيد جميل اضافة الى عتابة عكار وكان المقام يصدح يوميا. التياترو .كان يقام بالطابق العلوي من مقهى حسن صفو. فقد اشتهر بتقديم الحفلات الرقصية التياترا. اذ اقتصر المقهى الاول على الجالغي والمقام فقط حيث كان يقدم حفلات يومية راقصة واحيانا مرتين عصرا ومساء ومن الراقصات المشهورات (طيره وفريدة وتنوورحل) وغيرهن.

مقهى الزهاوي

أفتتح الوالي العثماني خليل باشا شارع الرشيدعام ١٩١٦ ميلادية وفي المنطقة بين الميدان والحيدرخانة يطل عليك مقهى الزهاوي والذي كان في البداية مقهى أميني التي تأسس عام١٩١٧ ميلادية وأستبدل الأسم تيمناً بالشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي أحد أهم جلساء المقهى، وكان للزهاوي عاداته المعروفة في المقهى، فاذا أبدى أحد الجالسين اعجابه بشعره، صاح على صاحب المقهى:

أميني . لا تأخذ فلوس الجاي.. كان المقهى ملتقى المثقفين والأدباء والسياسيين والشعراء والسواح العرب والأجانب وكبار الأعيان والتجارمن أمثال الرصافي،والجواهري، والزعيم عبدالكريم قاسم، والوزير ورئيس الوزراء فاضل الجمالي، والدكتور علي الوردي، والأستاذ محمد بهجت الأثري، وأحمد سوسة، وخضر الولي، و قراء المقام محمد القبانجي، وناظم الغزالي، ويوسف عمر، وشعوبي ابراهيم، وسليم طه التكريتي وأبراهيم صالح وعبد الرحمن البناء والشيخ أبراهيم الراوي وحامد البازي وعبد الأمير الحصيري ونزار القباني وأحمد رامي.. وغيرهم.

ويقال ان الزهاوي استقبل فيه شاعر الهند الكبير (طاغور) عام ١٩٣٢، وهناك طرفة أو مقلباً منقولاً(كما هو معلوم عن الرصافي والزهاوي في خصام أستمر طويلاً أذكاه أحد الشعراء، وأراد الرصافي في جمعة ما أن يلقي قصيدة في المقهى ليغيض الزهاوي ويداً بألقاءها في حينها دخل بائع الكرزات "الحب" وهو ينادي حينها نادى عليه الزهاوي الذي كان قد فقد أسنانه بسبب العمر وحين وصل أليه سأله الزهاوي هل عندك حزام لسروالي "البنطلون" فأجابه البائع وهو يعرفه: بيك آني أبيع حب مو أحزمة،

فأستغرق الجالسون بالضحك المستمر ولم يستطع الرصافي أكمال قصيدته).

كان من رواد هذا المقهى (أعضاء فرقة الزبانية للتمثيل) يلمون بها للراحة والتداول في شؤون الفرقة وهم الحاج ناجي الراوي وفخري الزبيدي وحميد المحل وحامد الأطرقجي وجميل الخاصكي وغيرهم من الشعراء والأدباء والصحفيين. وكان القزم الداهية الظريف (خليلو) والمكنى (أبو راسين) من رواد هذا المقهى وغيرم من مقاهي الميدان والحيدرخانة.. وكان القزم محدثاً خبيراً يفنون الغناء والموسيقى وبخاصة المقام العراقي..

وحين زارت أم كلثوم العراق عام ١٩٣٢م سمعت بهذا القزم وقابلته وأعجبت باجتماع النقيضين في شخصيته وقصر قامته وطول باعه في فنون الموسيقى وطلبت المطربة أم كلثوم منه مرافقتها الى مصر للاستفادة من خبرته، ولكنه اعتذر بلباقة، ويقال أن الشاعر بدر شاكر السياب بدأ ينشر أولى قصائده من هذا المقهى، كما زار هذا المقهى كثير من الزوار منهم نزار القباني وأحمد رامي، وفي نهاية الثمانينات أراد أولاد السيد أمين بيعه ليتحول الى مكتبة أو مطبعة وجاهد المخلصين من الأدباء والفانانين فأقنعوا أمانة بغداد بتبنيه وهذا ما حصل بل جرى ترميمه بشكل حافظ على جماليته وهو شامخ الى الآن..

نص نادر

وصف (طوب أبو خزامة) وخرافات العوام سنة 1913

كاظم الدجيلي

لما استولى الشاه عباس الصفوي على بغداد في نحو سنة ١٠٣٣هـ-، ١٦٢٣م وذلك بعد حصاره إياها مدة ثلاثة أشهر وكان استيلاؤه عليها بخيانة ابن بكير رئيس الشرطة وبعد أن دخل الشاه المدينة وملكها أمر بقتل الخائن (ابن بكير آغا) فقتل ثم بقى الحكم للشاه ومن يوليه أمرها من رعيته إلى سنة ١٠٤٨هـ. وذلك أن السلطان مراد خان العثماني قصدها بجيش جرار كامل العدد والعدد فحاصرها (في ٨ رجب سنة ١٠٤٨هـ ١٥ ت ٢ سنة ١٦٣٨م وكان يشتغل بنفسه في أعمال الحصار الشاقة تنشيطا للجند. وسلط على أسوارها المدافع الضخمة التي نقلها إليها ولما فتحت المدافع فيها فتحة كافية للهجوم أصدر السلطان أوامره بذلك فهجمت الجيوش كالليوث الكواسر (كذا) في صبيحة ١٨ شعبان سنة ١٠٤٨هـ - ل١ ١٦٣٨م ولم يثنها قتل الصدر الأعظم (طيار محمد باشا)... بل استمر الحرب ٤٨ ساعة متوالية ختمت بانتصار الجنود العثمانية) ولما دخل الجند العثماني بغداد وملك زمامها السلطان مراد خان ولى عليها من قبله واليا هو كجك حسن باشا (أو حسن باشا الصغير) وبعد أن تم ذلك رجع السلطان مراد إلى من حيث جاء وقد ترك المدافع التي أتى بها من الأستانة والتي غنمها من الشاه عباس لينتفع بها عند الحاجة إليها ولتصد عن بغداد هجمات العدو وإلى اليوم تراها مطروحة في قلعة (الطوب خانة) وقد أخبرنا أحد ضباط المدفعية أن الحكومة تريد نقلها إلى الأستانة لتوضع في محل التحف والآثار القديمة.

- وصف طوب أبو خزامة

ومن تلك المدافع المار ذكرها مدفع (يسمى أبو خزامة) وهو اليوم في محلة الميدان في الجانب الشرقي من بغداد أمام باب (الطوب خانة) الشرقي (أي باب قلعة المدافع) على دكة تعلو الأرض نحو نصف ذراع يبلغ عرضها نحو ٤ أمتار في طول ٨ أمتار وفي كل ركن من أركانها الأربعة مدفع صغير مركوز في الأرض من فوهته ومربوط بأطراف هذه المدافع العليا سلسلة حديد بغلظ الزند توصل الواحد بالآخر فهي شبه سور (لطوب أبو خزامة) والمدافع شبه أبراج ومشدودة بتلك السلسلة كثير من الخرق وفي رأس مدفع من المدفعين اللذين مما يلي الشرق فانوس وضعته الحكومة ليسرج في ليلة الجمعة.

وهذا الطوب (أعني طوب أبو خزانة) مصنوع من الصفر أي النحاس الأصفر (البرنج) والحديد وهو مضطجع على مرقد في وسط الدكة السالفة الذكر. والمرقد عبارة عن جذوع نخل لم تبلها الأيام لأنك تراها على حالتها الأولى في أول وضعها. وللمرقد المذكور دولابان من الحديد قد نزل نصفهما في الأرض لمرور الزمن عليهما ولما عليهما من ثقل الحديد وعند فوهة (طوب أبو خزامة) أربع قنابل ثلاث منها في الأسفل والرابعة فائمة عليها محيط كل منها ٢٩ س ويبلغ طول (طوب أبو خزامة) ٤ أمتار و٤٤ س ومحيطه من مؤخره مترين و٤ س ومحيطه مما يلي فوهته متراً و٤٤ س وقطر فوهته ٤٨ س ومكتوب على ظهره مما يلي فوهته بالحرف المركب البارز ما نصه: (مما عمل برسم السلطان مراد خان بن (كذا) السلطان أحمد خان) ووراء الكتابة المذكورة أربع سمكات صغار وأربعة أنجم ووراءها في الوسط عروتان مقوستان محيط كل منهما نحو ٥٠ س فيهما خرق مشدودة - ترمز إلى ما يطلبه الزائرون من الأماني وكذلك قل عن الخرق المشدودة في السلسلة المتقدم ذكرها - وفي جنبه الأيسر (أعني طوب أبو خزامة) مما يلي العروة انخفاض محيطه ٢٨ س وغوره نحو ٣ س ووراء العروتين السالفتي الذكر أربع سمكات كالتي تقدم ذكرها وكذلك خمسة نجوم وهلالان صغيران ووراء الأسماك والنجوم والأهلة على ظهر الطوب الذي نحن بصدده مما يلي مؤخره مكتوب بالحروف المركبة البارزة ما نصه: (عمل على كتخداي جنود بردركاه عالي سنة ١٠٤٧) معناه عمل على الذي هو رئيس الجنود في الباب العالي (أي باب السلطان وقد ساعدنا على قراءة الكتابة المذكورة وتعريبها شكري أفندي الفضل وفي مؤخرة شبه ذنب ينتهي بكتلة مخروطة الشكل وفي فوهته مما يلي داخله صدع (أي شق طبيعي) غير سوي. معتقد العامة في طوب أبو خزامه وكيفية زيارتهم إياه.

يعتقد العامة في طوب أبو خزامه ما يعتقدونه بالأنبياء والأولياء ويزعمون أنه ولي من أولياء الله تعالى فلذا تراهم يزورونه ويتبركون به ويطلبون منه تحقيق أمانيهم وتجد دائماً خرقاً معقودة بسلسلة الحديد والعروتين السالفتي الذكر وهذه الخرق ترمز إلى الأماني (أو المراد) ومن اعتقاداتهم فيه أنه لا يخيب قاصداً قط وفيهم كثيرون ويندرون له النذور ويسرجون حوله الشموع في ليلة كل جمعة وأكثر زواره وقصاده النساء وأكثرهن من أهل السنة والجماعة. ولا تقصده منهن إلا المرأة العقيمة فتمر أحشاءها عليه كي يعطيها ولداً.

أو المقلات التي لا يعيش لها ولد فتأتي إليه بالمولود وهو ابن سبعة أيام وتدخله في فوهته وتخرجه تفعل ذلك ثلاث مرات. ثم تتوسل إليه أن يطيل الله عمر ولدها وتندر له النذور وتفي بنذرها أن أعطاها مرادها. ومنهن (أعني من النساء) من في عينيها رمد فتأتيه قاصدة إياه للاستشفاء ببركته فتدخل رأسها في فوهته

وتخرجه ثلاث مرات ثم تغسل شيئاً أو من السلاسل التي حوله بقليل من الماء وتداوي بها عينيها ثم تنذر له نذراً وإن زال الرمد منها وإذا تم ذلك وفت بنذرها في الحال ويعتقد مثل هذه الاعتقادات بعض الأغرار من الرجال لا سيما الأكراد منهم.

خرافاتهم في طوب أبو خزامه

يزعم ضعفاء العقول في الانخفاض الموجود على ظهر المدفع إن هذا المدفع توقف عن السير يوم الحرب فغضب عليه السلطان مراد وضربه بجمع (أي بكف مجموعة أصابعها إلى راحتها) فحصل من تأثير ضربة السلطان هذا الغور.

ويعتقدون في الصدع الذي في داخل فوهته أن هذا المحل هو مكان أنفه الذي كان فيه خزامة ولما استعصى على السير نتله السلطان مراد من خزامته فخرم أنفه وهذا أثر الخرم باق إلى اليوم.

ويذهبون في وجود تسع السمكات الموجودة على ظهره إلى أن السلطان لما خرم أنفه غضب المدفع ورمى بنفسه في دجلة فخاض عليه السلطان مراد وأخرجه واسترضاه ولما خرج بانت على ظهره هذه السمكات ملصوقات إشارة إلى إنه ألقى نفسه حقيقة في دجلة لما سكن من غضبه ورضى على مراد خان أخذ السلطان ينثر له الدخن في ممره على الأرض ليسهل مروره عليها وهو ينساب الهوينا وفي أثناء الحرب نفذ ما عند الجند من البارود والرصاص والقنابل فأخذ الطوب يلهم التراب والحجارة من الأرض ويقذف بها الأعداء فتقع عليهم أشد من وقع القنابل الحقيقية والبارود الحقيقي عليهم وما زال هذا دأبه حتى فتح الله عليه.

هذا خلاصة ما تعتقده العوام في (طوب أبو خزامة) وما يحكمونه من الأسباب التي سهلت للسلطان مراد خان فتح بغداد. وفي العراق كثير من مدافن الأئمة والمزارات التي هي أشباه (طوب أبو خزامة) لا بد أن نأتي على ذكرها في فرصة أخرى لله في خلقه شؤون.

مجلة (لغة العرب) لسنة ١٩١٣ - العدد ٣٢.

شارع الرشيد ومصائب الأهالي عند شقه

رفعة عبد الرزاق محمد

كشفت الوثائق البريطانية التي اكتشفت مؤخرا ان مشروع شارع الرشيد كان من مشاريع الوالي ناظم باشا، وهو وال عرف باصلاحاته الكثيرة في العراق حتى سمي بمدحت باشا الثاني. وصل ناظم باشا الى بغداد وتسلم منصبه في ٥ مايس ١٩١٠، وبعد ايام التقى القنصل البريطاني في بغداد (الكابتن لوريمر) فابلغه عن عزمه على شق شارع ببغداد عرضه عشرون مترا يمتد من الباب الشمالي (الباب المعظم) الى الباب الجنوبي (الباب الشرقي) بخط مستقيم بطول نحو ميلين. واعتقد القنصل ان ذلك سيصطدم بصعوبات عديدة، وربما خصوم الوالي هم الذين ورطوه بهذا المشروع (تقرير ملخص احداث العراق التركي خلال شهري نيسان ومايس ١٩١٠م). وهذا يتفق تماما مع ماذكرته مجلة (الزنبقة) البغدادية الذي سنذكره بعد قليل.

كانت اصعب العقبات التي واجهت ناظم باشا واهمها هي المبالغ الباهضة التي ستصرف على المشروع بسبب التعويضات عن هدم الاملاك عند البدء بفتح الشارع. الف ناظم باشا لجنة لتقدير قيمة التعويضات لنحو مائتي منزل ستتملكه الولاية لغرض هدمها كليا او جزئيا. ففوجيء ناظم باشا بالمبلغ الكبير المقدر من قبل اللجنة على الرغم من طلبه اعادة اللجنة لتقييم التعويضات، حتى قيل ان ذلك لصرفه عن اتمام المشروع او الغائه كما يقول القنصل الانكليزي. غير ان ناظم باشا كان مصرا على تنفيذ المشروع، بل طلب جعل عرض الشارع ٢٢مترا، كما نشر بين الاهالي نص قانون الاستملاك الحكومي لغرض المنفعة العامة. (ظهر اللجنة بعد اعادة تشكيلها ان عدد المنازل التي يطالها الهدم يبلغ ٥٠٦ منازل تبلغ قيمة تعويضها اكثر من ٩٨ الف ليرة عثمانية).

وقد صور شاعر بغدادي معاناة الناس جراء هدم بيوتهم لشق الشارع من خلال شكوى امرأة. فقد نظم عبد الرحمن البناء (ت ١٩٥٥) قصيدة بعنوان (أنة تحت الظلام في دار السلام)، مطلعها:

وباكية في الليل والليل مظلم
تود انتباه الناس والناس نوّم

ومن المهم هنا ان الأب انستاس ماري الكرملي كتب تعليقا مفيدا على هذه القصيدة، نشره الشاعر في مقدمة القصيدة المنشورة في ديوانه (ذكرى استقلال العراق) الصادر سنة ١٩٢٧، جاء فيه:

كان الاتراك قد فتحوا جادة كبيرة في بغداد وهي الجادة التي كانت في خاطرهم منذ عشرات السنين لكنهم لم يجرأوا على فتحها لما كان يكلفهم من المبالغ الطائلة، ولما كان من الناس من لم يوافقهم البتة على رأيهم هذا، ولما اعلنت الحرب وجدوا ان الفرصة مناسبة لفتحها اذ لا يستطيع احد ان يعارضهم. ولما شرعوا بفتحها ظلموا كثيرين وجاروا على الضعيف ولم يؤدوا حقوق الناسبوجه من الوجوه، والذين قدروا ان ان يرشوا رئيس البلدية رشوة (دهينة سمينة) وجد لهم الف عذر لعدم قطع داره او التعرض لها. واما المسكين الفقير فانه لم يستطع الا التصبر على ماداهمه، وصور شاعرنا حالة احدى النساء التي لم يكن لها الا دار واحدة فاجاد وصفا، وكان نظمه لها في ٩ رمضان ١٣٣٤ يوم احتفل بتدشينها. كتب نوري ثابت (حبزبوز) ان الذي اشرف على فتح الشارع هو امر اللواء العقيد محمد بك، وكان يشغل وظيفة مركز قومندان في قيادة الجبهة (حبزبوز العدد١٦٤ في ٢٦ اذار ١٩٣٥).

ويذكر الاستاذ كامل الجادرجي في اوراقه المنشورة ان اخاه رؤوف الجادرجي رئيس بلدية بغداد في ايام الحرب العظمى غادر العراق قبيل انتهاء الحرب الى الاستانة ومنها الى برلين بحجة الاطلاع على تنظيمات المدينة وتخلصا من الوضع الذي نشأ من جراء فتح الشارع العام وتهديم الكثير من الدور والمنشأت دون تعويض اصحابها اموالا نقدية بل اكتفت البلدية باعطائهم سندات بقيت الى النهاية دينا بذمتها، وقد سبب هذا العمل استياءا بالغا لدى اصحاب العلاقة وغيرهم واعتبروا رؤوف الجادرجي مسؤولا عنها. (من اوراق كامل الجادرجي ص ٥٠).

تاريخ فتح الجادة الجديدة في بغداد

هذا عنوان لما كتبته مجلة (الزنبقة) في سنتها الاولى ١٩٢٢ في الصفحة ١٩٦ (صدر عددها الاول في الاول من تشرين الاول ١٩٢٢ في بغداد والنسخة التي بين يدي ختم عليها: الآباء المرسلين الكرمليين في بغداد). ومن فوائد المقال: ان الوالي مدحت باشا حاول فتح شارع بين كنيستي السريان واللاتين ولم تتم المحاولة اذ انتهت ولايته قبل التنفيذ. وفي ولاية ناظم باشا في اواخر سنة ١٩٠٨ حاولت الولاية فتح الشارع فاحضرت المهندسين الذين قدموا نفس مخطط مدحت باشا فالغاه مناسبا لانه لا يهدم مسجدا او كنيسة واجرى تعديلا طفيفا، ولم تتم المحاولة لعزل الوالي ومغادرته الحاضرة. وعندما اراد سليمان نظيف باشا فتح الشارع غرقت بغداد بفيضان سنة ١٩١٥ فاخفق في مسعاه. ومما يؤيد ما كتبته الزنبقة ان جريدة صدى بابل لصاحبها داود صليوه وكانت من الصحف المؤيدة لناظم باشا نشرت كتابا مفتوحا الى انظار الهيئة التفتيشية العالية، وهي هيئة جاءت الى بغداد للتحقيق فيم نسب للوالي ناظم باشا (العدد ٩١ ١٢ رجب ١٣٣٤ الموافق ٩ تموز ١٩١١) ذكرت فيه اصلاحات ناظم باشا ومنها (رسم خارطة لفتح جادة عمومية في المدينة على حسب نظام مدحت باشا. الفقرة٢٦).

"21عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (5908) السنة الثانية والعشرون - الاثنين (19) أيار 2025

www.almadasupplements.com

رئيس التحرير التنفيذي: علي حسين

سكرتير التحرير: رفعة عبد الرزاق

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون